الفصل الثاني
اتصال جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ لتلقينه الوحي القرآني

وفيه ثلاثة مباحث

يبحث هذا الفصل عن **هيئة** اتصال جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ، ومدى ذلك الاتصال زماناً ومكاناً، ووقت امتناعه، وكيفية مجيء جبريل عليه السلام بالوحي القرآني من حيث عموم المجيء، لا من حيث تفصيل هيئة المجيء، واقتضى ذلك أن ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهيئة النبي ﷺ للوحي القرآني والاتصال بالمَلَك .

المبحث الثاني: إمكانية الاتصال المطلق .

المبحث الثالث: هيئات مجيء المَلَك بالوحي القرآني (من حيث العموم) .

المبحث الأول:

تهيئة النبي ﷺ للوحي، والاتصال بالملك:

اقتضت بشرية الرسول، وملكية الملك أن يهيأ النبي ﷺ لإمكانية لقاء الرسول الملك في أي وقت، على أي حال من حيث اختلاف الطبيعة في كل منهما، وقصور قدرة البشر طبيعةً عن إدراك المَلَك أو غيره من العوالم الغيبية، كما أن من أهم أهداف هذه التهيئة إعداد النبي ﷺ ليستوعب كلام الله ﷻ، ويصير في مقام حمله وتبليغه، وليكون جهده لوحده في ذلك مساوياً لجهد الأمة في حفظ كلام الله ﷻ بحفظ الله ﷻ له، كما سيأتي في حادثة شق الصدر الأولى، وتفرعت هذه التهيئة إلى فرعين هما مطلبا هذا المبحث، وهما:

المطلب الأول: التهيئة الإلهية للوحي .

المطلب الثاني: التهيئة البشرية للوحي .

المطلب الأول: التهيئة الإلهية للوحي:

تمثلت فيه هذه التهيئة في ستة مظاهر، وأولها:

الممهدات التي قيضها الله لنبيه ﷺ:وممن صرح بأن ثمت ممهدات للوحي ابن حجر -رحمه الله تعالى- حيث قال: وبدئ بذلك ليكون تمهيداً، وتوطئة لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضاً برؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر([1])، ومن أهم مظاهر هذه التهيئة:

١-حادثة شق الصدر: وقد وقعت مرتين: **أما المرة الأولى:** فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه فاستخرج منه

([1]) فتح الباري ١/ ٢٣، مرجع سابق .

علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره- فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو ممتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره([1])، وفي لفظ [قلبه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج ...].

وأما المرة الثانية عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعةرضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، وذكر يعني رجلاً بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض دون البغل، وفوق الحمار يقال له: البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ...)([2]) الحديث.

وفي معنى الحكمة يقول النووي-رحمه الله تعالى-: "العلم المشتمل على المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك"([3]).

وعقب عليه ابن حجر-رحمه الله تعالى- قائلاً: "**وقد تطلق الحكمة على القرآن**، وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط"([4])، ويدل على صحة وجهة ابن حجر -رحمه الله تعالى- في دلالة الحكمة على القرآن قوله ﷺ : (لاحسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن ...، وفي لفظ: رجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها)([5]).

([1]) صحيح مسلم ١٤٧/١، مرجع سابق .

([2]) صحيح البخاري ١١٧٣/٣، مرجع سابق .

([3]) فتح الباري ٤٦١/١، مرجع سابق .

([4]) فتح الباري ٤٦١/١، مرجع سابق .

([5]) البخاري ٣٢١٢/٦، مرجع سابق .

فقد وقعت حادثة الشق مرتين، لتحقيق غرضين مختلفين:

فالمرة الأولى: كان هدفها نزع حظ الشيطان:

وبين ذلك أبو حاتم بن حبان -رحمه الله تعالى- بقوله: "شق صدر النبي ﷺ وهو صبي يلعب مع الصبيان، وأخرج منه العلقة، ولما أراد الله ﷻ الإسراء به أمر جبريل عليه السلام بشق صدره ثانياً، وأخرج قلبه فغسله، ثم أعاده مكانه مرتين في موضعين، وهما غير متضادين"([1]).

وفي **الديباج على صحيح مسلم**: " فإن قيل: إنما وقع شق الصدر وهو صغير ؟ فالجواب كما قال السهيلي: إنه وقع مرتين، الثانية عند الإسراء تجديداً للتطهير"([2]).

قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-:" قوله ففَرَج صدري هو بفتح الفاء والجيم أيضاً أي شقه، ورجح عياض -رحمه الله تعالى- أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب، **ومحصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والشق الثاني: كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة**"([3]).

والظاهر أن الشق الأول تعدت أهدافه ما ذكر ابن حجر -رحمه الله تعالى- إلى استعداده ﷺ للقاء الملك، وإيداع قلبه كلام الله، والنفي المبكر لحظ الشيطان من قلبه حتى لا يشوش وجوده على تحقيق هذه الأهداف، ويدل على أن هذا التقرير هو التحقيق في المسألة بقية حديث الشق الأول ففيه: **مسألة الوزن**، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ! كيف علمت أنك نبي حين استنبئت ؟ فقال: (يا أبا ذر ! أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما

([1]) صحيح ابن حبان ٢٤٢/١٤، مرجع سابق .

([2]) الديباج على صحيح مسلم ١/ ٢٠٦، مرجع سابق .

([3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق .

لصاحبه: أهو هو ؟ قال: نعم ! قال: فزنه برجل، فوزنت به فوزنته، ثم قال: فزنه بعشرة فوزنت بهم، فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم، فرجحتهم كأني انظر إليهم ينتثرون علي من خفة الميزان، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها)([1]) .

وهذا يدل على أن جهده ﷺ في تلقي الوحي القرآني وحفظه، ينبغي أن يساوي جهد الأمة في ذلك، وقد ساواه وزاد بحمد الله ﷻ.

أما المرة الثانية: فمن أهدافها: استعداده للتلقي الحاصل في تلك الليلة من حيث عظم ما أخذ إليه ﷺ من الصعود إلى السموات، ورؤية الآيات الكبرى في سرعة لا تخطر على قلب بشر، وذاك أمر بحاجة إلى تهيئة لا تكفي فيها التهيئة الأولى .

وقد ورد ما يدل على أن شق الصدر وقع أكثر من مرة، فقد قال ﷺ : (فأردت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل، قد سدا الأفق فهبط جبريل عليه السلام فبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل عليه السلام فسلقني بحلاوة القفا، ثم شق عن قلبي، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفأني كما يكفأ الأديم أو الآنية، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي، ثم قال: اقرأ ! قلت: ما قرأت كتابا قط . فلم أدر ما اقرأ ! ثم قال:اقرأ .فقلت ما أقرأ ؟ فقال ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)...**﴾ حتى انتهينا إلى خمس آيات منها، فما نسيت شيئاً بعد، ثم وزنني برجل،

([1])(الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ت٢٥٥هـ: سنن الدارمي ٢١/١، تحقيق: أحمد فواز زمرلي، خالد السبع العلمي، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت . وقد جاء التصريح بأن الوزن جاء عقب الشق الأول في عدد من الروايات منها ما أخرجه ابن سعد ١٥٠/١، مرجع سابق .

فوزنته ثم وزنني بآخر فوزنته، حتى وزنت بمائة رجل، فقال: ميكائيل من فوقه: أمة ورب الكعبة، ثم أقبلت فجعلت لا يلقاني حجر، ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله! حتى دخلت على خديجة فقالت: السلام عليك، يا رسول الله!)([1]).

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "ومناسبته ظاهرة"([2]). ولم يتكلم على إسناده فيكون حسنًا أو صحيحاً عنده على ما شرطه في المقدمة([3]).

والمقتضى الفعلي لهذا الإعداد للقلب قد ترتب عليه أمور جليلة، بعد أن كانت هذه التهيئة له، **لعل أهمها**: نزول القرآن على قلبه، وقدرته على استيعابه وتحمله، **ومن صورها المحسوسة** أن قلبه لا ينام وإن كانت عينه تنام .

٢- ثم بدأ يتعدى القوى البشرية القاصرة: فكان يرى ما لا يستطيع البشر رؤيته، ويسمع مالا يستطيعون سماعه، وأخبر ﷺ عن ذلك فقال: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أصبع إلا ملك ساجد...) الحديث([4]).

([1]) (الهيثمي) الحافظ نور الدين: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٢٣، للحارث بن أبي أسامة، تحقيق د.حسين أحمد صالح الباكري، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة .

([2]) قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- ١/٤٦٤، مرجع سابق: "وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها -أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء، والله أعلم . وروى الشق أيضا وهو ابن عشر، أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبو نعيم في الدلائل، وروى مرة أخري خامسة ولا تثبت".

([3]) (ابن حجر) أحمد بن علي حجر العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري ص٥، حقق أصولها: عبد العزيز بن باز رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان .

([4]) مسند أحمد ٥/١٧٣، مرجع سابق؛ المستدرك ٢/٥٥٤، مرجع سابق .

ومن ذلك: أنه يمكن أن يرى بعض العوالم الغيبية في حدود ما أتاح الله ﷻ له كالملائكة والجن، فأما الملائكة فظاهر من هذا الحديث، ومن الحديث عن جبريل عليه السلام وأما الجن فنحو حديث كلامه ورؤيته لجن نصيبين(١)، وقبضه على الشيطان الذي مر بين يديه(٢).

وأما **السماع** فكسمعه ﷺ للمعذبين في القبر، كما قال: (لولاأن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)(٣)، وهذا الحديث دال على أنه أوتي قوى أخرى كالصبر على تحمل سماع عذاب القبر، وذلك كله في حدود معينة، لا أنه قد خرج عن طبيعته البشرية خروجاً كلياً، **ومن أهم ثمار ذلك مما له تعلق بموضوع البحث:** ترسيخ اليقين في نفسه بوحي ربه ﷻ بصفة خاصة، وتأكده بأن الذي يأتيه ملَك لا شيطان .

وابتدأ ظهور إحساسه مادياً بالعوالم الغيبية، وبدايات تمييزها لكن دون يقين قبيل الوحي إليه تمهيداً لنزول الوحي عليه، ولأنه لم يأته الوحي صراحة فقد خاف من هذه الظواهر على نفسه: فقد قال رسول الله ﷺ لخديجة: (يا خديجة! إني أرى ضوءاً، وأسمع

---

(١) وردت روايات في جن نصيبين منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، قال: (من هذا)، فقال: أنا أبو هريرة . فقال: (أبغني أحجاراً أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة)، فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة ؟ قال: (هما من طعام الجن، وإنه قد أتاني وفد جن نصيبين -ونعم الجن- فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً) أخرجه البخاري ١٤٠١/٣، مرجع سابق، وانظر: قصةً أخرى في جن نصيبين: المستدرك للحاكم ٧٥١/١، مرجع سابق .

(٢) البخاري ٩٠٠/٢، مرجع سابق .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٩٨/١، مرجع سابق .

صوتاً، لقد خشيت أن أكون كاهناً فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، إنك تصدق...) الحديث([1])، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يا خديجة! إني أسمع صوتاً، وأرى ضوءاً، وإني أخشى أن يكون في جنن)([2]).

٣-**وكان جبريل عليه السلام يأتيه في المنام:** كنوع من التدريج في اعتياد الطبيعة البشرية لرسول الله عليه؛ ففي حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- في بدء الوحي قالت: أول ما بدئ به رسول الله الرؤيا([3])...قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "(ما) في الحديث نكرة موصوفة، أي أول شيء، ووقع صريحاً في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن عائذ، ووقع في مراسيل عبد الله بن أبي بكر بن حزم عند الدولابي ما يدل على أن الذي كان يراه ﷺ هو جبريل، ولفظه: أنه قال لخديجة بعد أن أقرأه جبريل عليه السلام **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**: (أرأيتك الذي كنت أحدثك أني رأيته في المنام، فإنه جبريل عليه السلام استعلن)"([4]).

٤-**الرؤيا الصادقة:** فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- عند البخاري:(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ... وفي لفظ له: الرؤيا الصادقة) ...وقد ذُكِرَ في الحديث تفسيرها حيث قالت عائشة: (فكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح)([5])، **فالرؤيا الصادقة:** "هي التي ليس فيها ضغث، قال ابن المرابط: هي التي ليست ضغثاً، ولا من تلبيس الشيطان، ولا فيها ضرب مثلٍ

([1]) الطبقات الكبرى ١/١٩٤، مرجع سابق .

([2]) الطبقات الكبرى ١/١٩٤، مرجع سابق .

([3]) البخاري ٣/١، مرجع سابق .

([4]) فتح الباري ١٤/١، مرجع سابق .

([5]) البخاري ٣/١، مرجع سابق .

مُشْكِل([1])، أي في أول المبتدءات من إيجاد الوحي الرؤيا([2])... وإنما شبهها بفلق الصبح دون غيره-كما قال ابن أبي جمرة- لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادى أنوارها، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس([3]).

وعن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود رضي الله عنه : (إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي في اليقظة)([4]).

وأكثر ما سبق من الممهدات في المنام، وذاك في ذاته تمهيد لليقظة .

٥- **الآيات التي كانت تظهر له:** مثل تسليم الحجر؛ كما ثبت عن جابر ابن سمرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)([5]).

وأول ذلك مطلقاً ما سمعه من بحيرى الراهب، ثم ما سمعه عند بناء الكعبة حيث قيل له اشدد عليك إزارك وهو في صحيح البخاري من حديث جابر رضي الله عنه ([6]).

([1]) قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- تعقيباً: "وتعقب الأخير بأنه إن أراد بالمشكل ما لا يوقف على تأويله، فمسلم وإلا فلا".

([2]) والعلاقة بين الرؤيا الصالحة والصادقة أنهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا، فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة، وقد تكون صالحة، وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد، وأما رؤيا غير الأنبياء: فبينهما عموم وخصوص، إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث، فالصالحة أخص مطلقاً، وقيل: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر في المنام، أو يخبر به ما لا يكذب، والصالحة ما يسر .

([3]) فتح الباري ٨/٧١٧، مرجع سابق .

([4]) قال في فتح الباري ٨/ ٧١٩، مرجع سابق: "روه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن".

([5]) صحيح مسلم ٤/١٧٨٢، مرجع سابق .

([6]) فتح الباري ٣/٤٤٣، مرجع سابق، وقال ابن حجر-رحمه الله تعالى- في حديث بحيرى الراهب: "وهو عند الترمذي عن أبي موسى بإسناد قوي" .

٦-**التحنث:** فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (ثم حبب إليه الخلاء فكان يتحنث في غار حراء ...)([1]) .

فقولها (حبب): لم يسم فاعله؛ لعدم تحقق الباعث على ذلك، وإن كان كل من عند الله، أو ليُنَبِّه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام.

والخلاء بالمد الخلوة، **والسر فيه أن الخلوة** فراغ القلب لما يتوجه له([2]). وقد فُسِّرَ في الحديث معنى التحنث من بعض رواته، فقال: (وهو التعبد الليالي ذوات العدد) .

وقد قيل في تأويل التحنث أنه من الحنفية إذ تبدل الثاء من الفاء كثيراً، أو من إلقاء الحنث وهو الإثم([3]).

وحتى لا يتهم النبي ﷺ بالاتصال بالشياطين، أو بالفيض الفلسفي الذاتي من خلال الاستيحاش بالناس، والاستئناس بالخلوة؛ إذ ذاك مظنة لهما – فإن **من أبرز الحقائق التي صاحبت خلوته** ﷺ أنه لم يكن مبتدعها في قريش، بل كانت تلك عادة متأصلة فيهم، فإن الزمن الذي كان يخلو فيه كان شهر رمضان([4])، وكانت قريش تفعله، كما كانت تصوم عاشوراء، وهم لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء، مع مزيد الفضل فيه على غيره؛ لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكان يعظمونه لجلالته، وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان ﷺ يخلو بمكان جده، وسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم([5]).

وهل كان النبي ﷺ متوقعاً للوحي بعد ظهور هذه العلامات كما يدل له كلام البلقيني، أم لا لشاهد فزعه، ولقول عائشة-رضي الله تعالى عنها-: فجئه الحق، وأيده النووي

([1]) البخاري ٣/١، مرجع سابق .

([2]) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/١، مرجع سابق .

([3]) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/١، مرجع سابق .

([4]) رواه ابن إسحاق كما قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-في فتح الباري ٣٦١/١٢، مرجع سابق .

([5])انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ١٣، مرجع سابق .

...؟. قال ابن حجر: الظاهر أن الأولى: ترك الجزم بأحد الأمرين([1])، ولكن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ "القصص/٨٦" ظاهرٌ في نفي أن يكون النبي ﷺ كان يتوقع شيئاً من الوحي .

المطلب الثاني: التهيئة البشرية للوحي:

فكما أن الله ﷻ أمر جبريل عليه السلام ومن أعانه من الملائكة بتهيئة النبي ﷺ تهيئة إلهية مما هو خارج عن نطاق القدرة البشرية، فقد كان النبي ﷺ يهيئ نفسه ومحيطه تهيئة يلهمها الله ﷻ له بطريق من طرق الوحي لكيما يتلقى الوحي الذي يأتيه متتابعاً قرآناً كان أو غيره وهذه التهيئة نوعان:

أ- التهيئة الذاتية: ويشير إليها ملمحان:

أولهما: معالجته الشدة في تلقي القرآن كما سيأتي في حديث المعالجة([2])؛ وما تلك المعالجة إلا لما أراد النبي ﷺ أن يبذله من طاقة مستطاعة لحفظ القرآن الكريم، بعد أن أخبر بثقله في قوله ﷻ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ "المزمل/٥ "، فكأن هذه الآية كانت داعية تهيئته لتلقي لفظ القرآن الكريم .

وثانيهما: اجتنابه ﷺ للثوم ونحوها، مما تتأذى منه الملائكة، وعندما يخاف أن تظن أمته حرمتها يبين لهم العلة، وجاء بعض الصحابة رسولَ الله ﷺ بمرقة بقر فيها ثوم، فوجد رسول الله ﷺ ريح الثوم فقال:(أخرجها) قال: لم يا رسول الله ؟ ! أحرام ؟ فقال: (لا، ولكن جبريل عليه السلام يناجيني)([3]).

([1]) انظر: فتح الباري ٣٥٦/١٢، مرجع سابق .

([2]) انظر: الفصل الثالث -المبحث السادس من هذه الدراسة .

([3]) (الطبراني) أبو القاسم مسند الدنيا سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير ٤٥٦/٢، مراجعة: حمدي عبد الحميد السلفي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، أصله في صحيح مسلم ٢٠٠/٣، مرجع سابق، دون ذكر جبريل .

وعلل الشافعي-رحمه الله تعالى- ذلك بقوله:"... امتنع من أكل الضب؛ لأنه عافه، لا لأنه حرمه، وقد امتنع من أكل البقول ذوات الريح لأن جبريل عليه السلام يكلمه"([1]).

ب-التهيئة البيئية: لمحيطه الذي يتلقى فيه الوحي:

وأنموذجه ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : (أتاني جبريل عليه السلام فقال أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع، فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، ومر بالكلب فليخرج، ففعل رسول الله ﷺ وفي رواية: إما أن تقطع رؤوسها، أو تجعل بسطاً توطأ)([2]) .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :وعد النبي ﷺ جبريل عليه السلام فقال: (إنا لا ندخل بيتاً، فيه صورة، ولا كلب)([3]) .

وهكذا كانت التهيئة الإلهية والتهيئة البشرية لاتصال أمين الوحي في السماء عليه السلام بأمين الوحي في الأرض ﷺ ...وتمضي هالات التعليم النورانية بين أشرف الخلق في السماء عليه السلام، وأشرف الخلق في الأرض والسماء ﷺ ،لتَعلُّم وتعليم خير الكلام في الأرض والسماء:

محمد في فؤاد الغار مرتجفُ.....في كفه الدهر والتاريخ والصحفُ
مزمل في رداء الطهر، قد صعدت...أنفاسه في ربوع الكون تأتلفُ
جبريل يروي لنا الآيات في حُلَلٍ...من القداسات والأفلاك قد دلفوا
من السموات تهمي كل غادية..... على ديارٍ بنوها بالهدى شغفوا

([1])تأويل مختلف الحديث ٣١٠، مرجع سابق .

([2]) (الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي ٢٧٩هـ : الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣٨١/٣، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، وقال الترمذي: "حسن صحيح" وقال الشيخ الألباني: "صحيح" .

([3]) صحيح البخاري١١٧٩/٣، مرجع سابق .

المبحث الثاني:

إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ:

يدرس هذا المبحث مسألة الإطلاق في اتصال جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ زماناً ومكاناً، فلا يحول دون لقائه به حائل، وذلك حتى تطمئن قلوب المؤمنين بدقة تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إن إمكانية الاتصال المطلق من أهم سمات اتصال جبريل عليه السلام به، ولقائه له، **ومن سمات هذا الإطلاق:**

١- **الالتقاء الخفي، والكلام الخفي:** فلا ضير في وجود بشر من حوله، أو عدم وجودهم لخفاء اتصاله، حيث كان مجيء جبريل عليه السلام دون أن يشعر به الناس، وحديثه مع النبي ﷺ أمامهم، ولا يسمعونه، ليدل بذلك على إمكانية الاتصال به في أي وقت دون عائق تثيره بشرية الرسول ﷺ أو غيره؛ إذ الاتصال به أمر خارج عن نطاق البشر، وكان هذا من أسباب التهيئة الإلهية للنبي ﷺ كما تقدم([1])، ومما يدل على ذلك ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يناجيه، وفي لفظ: وهو كالمعرض عن العباس رضي الله عنه فخرجنا من عنده، فقال: ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟، فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه، وفي لفظ: فقال: أو كان عنده أحد ؟ قلت: نعم! قال: فرجع إليه، فقال: يا رسول الله! هل كان عندك أحد؟؛ فإن عبد الله أخبرني أن عندك رجلاً تناجيه. قال: (هل رأيته يا عبد الله ؟) قال: نعم ! قال: (ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك)([2])، وكما في حديث عائشة-رضي الله تعالى عنها-أن النبي ﷺ قال لها: (يا

([1]) انظر: المبحث السابق من هذا الفصل- المطلب الأول .

([2]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٣/١، مرجع سابق، وإنما لا يرى جبريل عليه السلام لأنه الروح، والروح: قال في النهاية: "ومنه الحديث الملائكة الرُّوحانيُّون، يروي بضم الراء وفتحها، كأنه نسْبة إلى الرُّوح، أو الرَّوح وهو نسيم الرّيح، والألفُ والنونُ من زيادات النَّسَب، ويريد به أنهم أجسامٌ لَطيفةٌ لا يُدرِكها البصر، ومنه: حديث ضماد: "إني أعَالِجُ من هذه الأرْواح: الأرواحُ هاهنا كِنايةٌ عن الجنّ، سُمُّوا أرْواحاً لكونهم لا يُرَوْن فهُم بمنزلة الأرْواح".

عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد النبي ﷺ ([1]).

٢- وينـاديه ويكلمه دون أن يشعر أحد من حواليه غالباً سماعاً، كما هو رؤية:

فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- :لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب، فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب، فخرج، ثم أجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي، واختمرت، وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع، فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع، فأسرعت ...قال :(فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم...) الحديث([2]).

وغاية ما كانت تصل إليه قدراتهم، أن يظنوا وجود جبريل عليه السلام معه، أو يعتادوا على بعض علامات محسوسة تدل عليه فقط، مع كثرة معاشرتهم لرسول الله ﷺ وممارستهم لخبره عن مجيء الوحي له: فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وهو غضبان، ونحن نرى أن معه جبريل عليه السلام حتى صعد المنبر-إلى أن قال أنس- ثم التفت نحو الحائط فقال: (لم أر كاليوم في الخير والشر، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط)([3]).

([1]) صحيح البخاري ١١٧٧/٣، مرجع سابق .

([2]) صحيح مسلم ٦٦٩/٢، مرجع سابق .

([3]) (الموصلي) أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠ -ت٣٠٧هـ): مسند أبي يعلى ٦٥/٤، مراجعة: حسين سليم أسد، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، دار المأمون للتراث -- دمشق، وقال حسين أسد: "إسناده على شرط مسلم" .

وقد عبر أنس رضي الله عنه عن الظن بالفعل (نرى)([1]).

وكما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله فقال: (إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) فقال رجل: يا رسول الله! أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ فقيل له: ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك، فرأينا أنه ينزل عليه. قال: فمسح عنه الرحضاء فقال: (أين السائل)، وكأنه حمده، فقال: (إنه لا يأتي الخير بالشر...) الحديث([2]).

ومما يدل على رؤيتهم أو اعتيادهم لبعض العلامات الحسية المصاحبة لمجيء الملَك: علامات الكرب المصاحبة للوحي كما سيأتي -إن شاء الله تعالى-([3]).

ومن هذه العلامات ما جاء عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام فقال: أو قد وضعتم السلاح؟، ما وضعنا أسلحتنا بعد. اهد إلى بني قريظة، فقالت عائشة -رضي الله تعالى عنها-: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار([4])، وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى غبار ساطع في سكة بني غنم موكب جبريل([5]).

فالأذن المعتادة لا تسمع جبريل عليه السلام، والعين المعتادة لا تراه، وذلك لأنه يصل إلى مركز الإبصار، ومركز السمع مباشرة ...ولهذا قال ﷺ: (هذا جبريل جاء

([1]) وهو يدل على الظن حيث كانت القرينة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ "المعارج/٦"، وهم إنما يظنون ظناً بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ "الجاثية/٣٢".

([2]) صحيح البخاري ٢/٥٣٢، مرجع سابق، وهو يدل على مجيء الوحي غير القرآني شديداً.

([3]) انظر: الفصل الثالث- المبحث الخامس.

([4]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/١٣١، مرجع سابق.

([5]) صحيح البخاري ٣/١١٧٦، مرجع سابق.

يعلمكم دينكم) فلما أراد جبريل عليه السلام أن يعلمهم كان لا بد من أن يتمثل لهم بشراً تدرك عيونهم صورته، وتدرك أسماعهم صوته .

ولا يستطيع البشر أن يروا الملك إلا إذا تمثل لهم بشراً، فقرر النووي (في حديث أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- حيث رأت جبريل على صورة دحية): أن "فيه جواز رؤية البشر غير الأنبياء للملائكة، ووقوع ذلك، ويرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقوون على رؤيتهم على صورهم"([1])، ويشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**﴾ "الأنعام /٩"، وأوضح دليل على ذلك : كلام الملائكة مع مريم بنت عمران -عليها السلام- حيث تمثل لها الملك بشراً سوياً.

٣-**الإطلاق من حيث النداء والوقت:** فعن أنس رضي الله عنه :احفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا النبي ﷺ فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو، وأبو طلحة زوج أم أنس، وفلان، وفلان، أربعة، فتوسد النبي ﷺ يد راحلته، ثم نام، ونام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل، رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبي ﷺ عند راحلته، فذهبوا يلتمسون النبي ﷺ حتى يلقوه مقبلاً، فقالوا: جعلنا الله فداك، أين كنت ؟ فإنا فزعنا لك؛ إذ لم نرك . فقال نبي الله ﷺ :(كنت نائماً حيث رأيتم، فسمعت في نومي دوياً كدوي الرحى، أو هزيزاً كهزيز الرحى، ففزعت في منامي، فوثبت، فمضيت فاستقبلني جبريل فقال: يا محمد ! إن الله عز وجل بعثني إليك الساعة لأخيرك، فاخترإما أن يدخل نصف أمتك الجنة، وإما الشفاعة يوم القيامة ...) الحديث([2]).

([1]) فتح الباري ٤/٢٣٥، مرجع سابق .

([2]) المعجم الأوسط ٢ /٢٣٣، مرجع سابق .

ولنداء جبريل للنبي ﷺ علامات لا يحس بها الآخرون غالباً، فإن أحسوا بها كان إحساساً غير متميز: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فلما أبصر يعني أحداً قال: (ما أحب أنه يحول لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لدين - ثم قال-: إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا -وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله- وقليل ما هم) وقال: (مكانك) وتقدم غير بعيد، فسمعت صوتاً، فأردت أن آتيه، ثم ذكرت قوله مكانك حتى آتيك، فلما جاء، قلت: يا رسول الله! الذي سمعت -أو قال -:الصوت الذي سمعت، قال: (وهل سمعت ؟) قلت: نعم قال:(أتاني جبريل فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت: وإن فعل كذا وكذا ؟قال: نعم)([1]).

٤- **الإطلاق من حيث المكان:** وكان يجيئه حيث كان عند اقتضاء المجيء، ووجود الأمر الإلهي بالنزول: فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فرأيت رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد، فاتبعته أمشي وراءه، ولا يشعر حتى دخل نخلاً، فاستقبل القبلة، فسجد فأطال السجود، وأنا وراءه حتى ظننت أن الله ﷻ قد توفاه فأقبلت أمشي حتى جئته فطأطأت رأسي أنظر في وجهه، فرفع رأسه، فقال: (ما لك يا عبد الرحمن ؟) فقلت له: لما أطلت السجود يا رسول الله !خشيت أن يكون الله عز وجل قد توفى نفسك، فجئت أنظر، فقال:(إني لما دخلت النخل لقيت جبريل عليه السلام فقال:إني أبشرك أن الله عز وجل يقول: من سلم عليك سلمتُ عليه، ومن صلى عليك صليتُ عليه)([2]).

([1]) صحيح البخاري ٨٤١/٢، مرجع سابق .

([2]) سنن البيهقي الكبرى٢٨٥/٩، مرجع سابق .

بل يأتيه إلى أخص أماكنه: فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق، ووضع السلاح، واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وقد عصب رأسه الغبار، فقال:(وضعت السلاح ؟ فوالله ما وضعته) فقال رسول الله ﷺ : فأين؟. قال: هاهنا، وأومأ إلى بني قريظة) قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ([1]). وما سبق من أدلة تدل على هذا الإطلاق في المكان، في معسكره، وسفره، قاعداً أو قائماً أو مضطجعاً أو مقاتلاً...

وبعد: فلا إشكال ولا لبس في حدوث عملية الوحي بين عالم الملائكة متمثلاً بجبريل عليه السلام وبين عالم البشر متمثلاً بالنبي ﷺ حتى تتلقف من قبل بعض الألسنة بالغمز أو اللمز...تلك كانت شنشنة المستكبرين من قبل إذ قالوا ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ "ص/٨"... فلقد رأينا في عصرنا صوراً من الوحي الخفي الذي يقع بين الناس بعد أن يتوافر فيه شرطان: وسيلة الإرسال المناسبة، ووسيلة الاستقبال الخاصة ...فترى شخصاً في قرية أو مجتمع يتلقى المعلومات من شخص آخر بعيد، يملك جهاز الإرسال المناسب، فيسمعه بأدق ما يكون السماع ...ومن لا يملك جهاز الاستقبال بجواره لا يسمع شيئاً...بل يتعدى الأمر من السماع إلى الرؤية، فبواسطة الهاتف المرئي تستطيع أن تسمع بجهازك كما تستطيع أن ترى لكلام وصورة تبعد عنك آلاف الأميال وتحادثها ...فالشرط هو وجود جهاز الإرسال والاستقبال ...فإذا كان هذا صنع الإنسان، وهو ما يزال يعد بالمزيد مستقبلاً ...فإن الذهن يتقبل بتلقائية شديدة أن يكون خالق الإنسان قد زود المصطفين من رسله من الملائكة ومن الناس بما يمكنهم من الاتصال المباشر ...وقد تقدمت مظاهر الإعداد الإلهي لجبريل عليه السلام في الفصل الأول ليكون أمين وحي الله ﷻ، كما سبقت آنفاً مظاهر من التهيئة الإلهية

([1]) صحيح البخاري ٣/١٠٣٥، مرجع سابق .

الخاصة للنبي الكريم ﷺ فهي لمحات تبين أن الاتصال بين المستويين الفيزيائيين لعالمي الملائكة والبشر أيسر -حتى- من الاتصال بين البشر والبشر.

ولذا فإن الاتصال المباشر بين مستويين من عالم الوجود الملائكي والبشري دون واسطة آلات لا شك يتطلب قدرة خاصة ليتم التلقي، وقدرة أخرى عند الاثنين (جبريل عليه السلام والنبي ﷺ)ليتم الوحي ...ولذلك كنا نرى الآثار الشديدة للاتصال بينهما تظهر على الرسول ﷺ وهو يتلقى الوحي بعد أن هيأه الله لذلك الاتصال...كما سيرد في المبحث الخامس من الفصل الثالث -إن شاء الله تعالى- .

المانع من قرب جبريل عليه السلام:

ويأتي جبريل عليه السلام النبي ﷺ حيث هو زماناً ومكاناً إلا أن يوجد مانع، كأن تكون امرأته ﷺ خلعت ثيابها، أو وجد في البيت ما يمنع الملك من الدخول([1])، وتقدم ما يدل على ذلك، ولا يعني أنه لا يكلمه إن وجد المانع، بل يكلمه، ولكن من مكان بعيد عن مكان المانع فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها-أن النبي ﷺ: (فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك، وقد وضعت ثيابك ...)الحديث([2]).

([1]) انظر: المطلب الأول- المبحث الأول- من هذا الفصل .

([2]) صحيح مسلم ٦٦٩/٢، مرجع سابق .

المبحث الثالث:

هيئات مجيء الملك بالوحي القرآني (من حيث عموم الوحي):

تعددت الوسائط التي يأتي بها الوحي إلى رسول الله ﷺ هما المذكورتان في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي. فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول) قالت عائشة-رضي الله تعالى عنها-:ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً([1])، وفي لفظ له: (كل ذلك: يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس...) .

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "فقوله (كيف يأتيك الوحي) يحتمل أن يكون المسئول عنه صفة الوحي نفسه، ويحتمل أن يكون صفة حامله، أو ما هو أعم من ذلك، وقوله: (كل ذلك يأتي الملك): أي كل ذلك حالتان"([2]).

وهل مجيء الوحي منحصر في الحالتين ؟ظاهر الحديث يشير إلى ذلك، خاصة مع قوله: (يأتيني على نحوين) في رواية ابن سعد([3])، وقوله (كل ذاك يأتي الملك)، وفيه فائدة جليلة من حيث مجيء الوحي في صورة معلومة محسوسة لا يمكنه الشك فيها، بخلاف ما لو كان إلهاماً مثلاً، وليس المراد هنا نفي الإلهام عن النبي ﷺ، بل هو ثابت، لكن لا لتبليغ الوحي المأمور بتبليغه؛ إذ هذا يرجع إلى هاتين الصورتين لذا الدليل، ومن قال بالعكس فضمان الدليل عليه .

([1]) صحيح البخاري ١/٤، مرجع سابق .

([2])فتح الباري ١/٢٢، مرجع سابق .

([3]) الطبقات الكبرى ١/١٩٧، مرجع سابق، وقال عنها ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "مرسل مع ثقة رجاله" .

والمقتضى المنهجي لذلك: غرس الاطمئنان على دقة نقل الوحي القرآني من حيث مجيئه في صورة محسوسة، فلا لبس فيها أولاً، ولا يتطرق القادح إليها بسبب الخفاء ثانياً، بخلاف الإلهام في كل ذلك حيث يمكن ادعاء ذلك فيه لخفائه.

وقد أُورِد على هذا الحصر أنه قد ثبت مجيئ الوحي في غير هاتين الصورتين، وقد ذكر ذلك ابن حجر-رحمه الله تعالى-وأجاب عليه(١)، **والجواب الجامع** أن يقال: ما ذكر من هيئات أخرى للوحي في ذاته، أوفي حامله لا تخلو من أحد أمرين:

أن تكون عامة في الأنبياء وغيرهم، كالإلهام، والرؤيا الصادقة، فليس حولها كلام، وليس السؤال واقعاً عنها(٢) .

أو أنها ترجع إلى أحد الصورتين كالنفث في الروع، ودوي النحل، فهو كصلصلة الجرس، أو تكليمه ﷺ لربه تعالى في المعراج فذاك كان بواسطة نقل جبريل عليه السلام له إلى السماء ابتداء، وقد قرر الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- ذلك -بعدُ - حيث قال: "وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً، فذكرها، وغالبها من صفات حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر"(٣) .

والمراد من هذا الاستطراد تثبيت مجيء الملك بصورة محسوسة حال الوحي بصورة عامة ليغدو مسلماً في الذهن: أن الوحي كان يأتيه ﷺ بطريق محسوس، فلا يطرأ عليه احتمال التخييل(٤)...**وأما الوحي القرآني** فقد كانت الاحتياطات فيه أشد من حيث إنزاله على القلب(٥).

---

(١) انظر: فتح الباري ١٢ /٤٣٦، مرجع سابق .

(٢) لكن قد قال البعض بالفرق بين رؤيا الأنبياء وغيرهم، فرؤيا الأنبياء وحي لا يدخله خلل . انظر: فتح الباري ٤٣٩/١٢، مرجع سابق، وعلى كلٍ فالوحي القرآني قد كان أكثر احتياطاً من أن يكون رؤيا منام، كما يلاحظ في عرض هذا الفصل وفيما يليه .

(٣) فتح الباري ٢٤/١، مرجع سابق .

(٤) انظر: الفصل الخامس- المبحث الأول من هذه الدراسة .

(٥) انظر: الفصل الثالث- المبحث الثاني- المطلب الثاني من هذه الدراسة .

وليس الداعي ملحاً للاسترسال في ذكر أنواع الوحي الشـــرعية، واســـتقصاء متعلقاتها، إذ المراد معرفة نوع خاص منه هو الوحي القرآني، تعرفاً على الطريقة المنهجيـــة المتخذة من قبل جبريلعليه السلام، التي صاحبت تعليمه ألفاظ القرآن للرسول ﷺ، وتطميناً علـى هيئة نقله من حيث اللفظ...**ولتُؤَسَسْ هذه القاعدة إذ قد أُشرعت مراكب الخـــوض في عمق البحث**: بما أن الوحي القرآني نوع خاص من عموم الوحي، فسيذكر ما يتعلق بـــه خاصاً من حيث اللفظ، كما سيذكر ما يتعلق به عاماً من حيث شدة ارتباطه بالخـــاص، فلا يرد على الباحث بعض أمور تتعلق بعموم الوحي قد ذكرت في ثنايا البحث... .

وقد آن أوان الخوض في المقصود الأساسي من البحث بعد هذه التهيئة، بيـــد أن كل ماسبق وما سيتلو مبينٌ لعالم الضباب والتيه اليوم كيف حفظ اللهﷻ كلامه مـن كل شوائب الدخل، أو لوامع الدخن، ليبقـــى هـــدى الحيـــارى في أزمنـــة اســـتعار الضلال...

هدى سيبقى وما عشر وأربعة من الزمان سيبقى ما الزمان بقـــي
الـــله أنزله، والله حافظه، والله ينجـــي به الدنيـــا من الرهـــقِ